كيفية تلاوة القرآن

في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدلّ على فضل تلاوة القرآن ، وما أعده الله من أجرٍ وثواب لمن يفعل ذلك ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ـ٣٠] .

وقول الرسول ﷺ : « **يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** »[1] .

وقوله صلوات الله عليه : « **من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثلها ، لا أقول : ﴿الم﴾**

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٢٦) .

حرف : ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[1] .

ذلك لأن لتلاوة القرآن تأثير عجيب ، حتى المشركون يتأثرون به ، ولهذا تراهم يتناصحون بأن لا يستمعوا إليه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت : ٢٦] .

بل وحتى الجنّ، عندما سمعوا القرآن تأثروا، قال تعالى على لسانهم : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن : ١-٢].

ولهذا أكد العلماء على أن قراءة القرآن ليست كغيره من الشعر والنثر ونحو ذلك ، إنما هو الترتيل ، والذي يعني : التأنّي والتمهل ، وتبيين الحروف والحركات .

وكما قال الإمام الزركشي رحمه الله : على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله .

---

(١) سنن الترمذي (٣٩١٢) .

وإن لم يرتل ، فليحسّن صوته بالقراءة ، دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « **زيّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً** »[1] .

وله الخيار بين التلاوة سرّاً ، والتلاوة جهراً ، دليل ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه : كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طوراً ، ويخفض طوراً[2] .

لكن ومع التلاوة لا بد من تدبّر معانيه ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩].

ورضي الله عن زيد بن ثابت عندما قال : لأن أقرأ القرآن في شهرٍ أحبّ إليّ من أن أقرأه في خمس عشرة ، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إليّ من أن أقرأه في عشر ، ولأن أقرأه في عشر أحب إليّ من أن أقرأه في سبع ، أقف وأدعو .

وقد ورد عن السلف الصالح أنهم كانوا يرتّلون القرآن بأناة

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٧) .
(٢) سنن أبي داود (١٣٢٨) .

وذلك من أجل التأمل والتدبر ، من ذلك ما ورد في ترجمة تميم الداري رضي الله عنه : أنه قام الليل بآية يكررها حتى أصبح أو كاد ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

إضافة إلى ذلك ، على المسلم أثناء تلاوة القرآن : الخشوع والبكاء ، حتى لو كان ذلك تكلفاً ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

ومع ذلك كله ، فالأفضل أثناء التلاوة التجاوب مع آيات القرآن ، حيث يتفاعل القلب والعقل ، ليصير حال الإنسان كما قال عوف بن مالك رضي الله عنه : قمتُ مع النبي ﷺ ليلة ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمرّ بأية رحمةٍ إلا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ[1] .

---

(١) سنن أبي داود (٧٢٣) .

أما إذا كان مستمعاً ، فعليه أن يعلم أن حاله ذلك فيه أجرٌ واضح ، وهذه سنّة المصطفى صلوات الله عليه ، ففي الحديث المتفق عليه أن الرسول طلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فقال ابن مسعود : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟!..

قال : « **إني أشتهي أن أسمعه من غيري** » .

قال : فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغتُ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] .

قال لي : « **كف** » أو « **أمسِكْ** » فرأيت عيناه تذرفان .

ولا بدّ للمستمع من الخضوع لبعض الآداب ، مثل : حسن الاستماع ، والإنصات مع السكوت ، وذلك من أجل مساعدة العقل على التدبر ، والقلب على التأثّر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

أما الجاحدون المكابرون ، فهم الذين يصمّوا آذانهم ، ويغيّبوا عقولهم ، ويعطّلوا قلوبهم ، حتى يُصبح حالهم كما قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا

وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

* * *